# بلاغة السكاكي

أ. محمد سلامة باكير
كلية التربية– الجامعة الأسمرية الإسلامية

## مقدمة

المراد بالبلاغة الوصول إلى غاية المراد، والانتهاء، لقولهم بَلَغَ الشيء يَبْلُغُ بُلوغاً وبَلاغاً: وصل وانتهى[1]،هي الفصاحة في الكلام،ووصول المتكلم إلى غرضه وبلوغه ما يريد، وقد مر علم البلاغة العربية منذ نشأته بأطوار متعددة، شهدت على مجهودات العلماء السابقين، وبلوغهم مرادهم، إلى أن تم اختراعه وتمييزه عن غيره، مما يحتم علينا دراسة تلك البدايات الرائدة، التي أسست هذا العلم المعتبر، علم النقد والفحص والتزيين والتحسين، لبيان أجمل القول وأفضله وأحسنه، وفق مقومات ومناهج غاية في الدقة والتأمل والشفافية العجيبة، ومن أولئك العلماء الذين سبكوا هذا العلم، العالم المشهور أبو يعقوب السكاكي رحمه الله، الذي كان له الفضل في التهذيب والتميز بين علوم البلاغة أو أقسامها، فأزال تداخلها في بعضها، وجعل لكل بحث منها علما خاصا، علم البيان والبديع والبيان، والذيتميزهو نفسه عن بقية العلماء، بكونه ناقدا أكثر من كونه أديبا، فكانت أساليبه تقريرية لترسيخ القواعد البلاغية، التي تفيد علما، ولا تفيد أسلوبا بليغا، مما جعل الناس يهملونه ويتركون مذهبه الغامض أو الدقيق التقعيدي، وإنصافا له وللعلماء ينبغي على الباحثين أن يراعوا ويدعموا مقام المؤسسين البارعين لاستحقاقهم ذلك، ولتشجيع الناس على الجد والاجتهاد والاختراع والإبداع، وهذا ما قصدته بهذا البحث الذي أرجو أن يكون مناسبا، ويقدم صورة ولو موجزة عن علم من أعلام اللغة العربية البارزين، من أعلام علوم البلاغة رحمهم الله، وذلك بمقدمة وتمهيد للتعريف بعلم البلاغة وأغراضه، وبمبحث في التعريف بالسكاكي وآثاره، ومبحث في بيان نقد مذهبه وتطويره،بالبحوث والدراسات في مجموع القضايا البلاغية، التي كان هو السبب في جمعها وترتيبها وتمييزها عن بعضها وفهمها والتنويه بها، ثم خاتمة تشتمل على الخلاصة والنتائج، والله الموفق.

## تمهيد

يواصل علم البلاغة في اللغة العربية مسيراته بأطوار منوعة عبر العصور،منذ بداية اختراعه،باعتباره صفة للكلام، إلى أن أصبح علماًصحيحا، بقواعده،وأحكامه،وفروعه،وأقسامه، فعلم البلاغة واحد من العلوم التي جاءت لخدمة كتاب الله الكريم ،وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وخدمة العلوم الأخرى، على أيدي علماء عكفوا على إحاطة كتاب الله تعالى بقلوبهم، وبرعوا في فهم الآيات والنصوص الأدبية، وعرفوا التعبير الفني البديع، والتأليف العلمي الرفيع، وقد غلبت على كتبهمفي أول الأمر الروح المنطقية،التي تجعل القارئ في متاهات وألغاز، وقضايامنطقية فلسفية، وتحيز وجمود، ثم تطور وأصبح علماصحيحا راسخا، وذلك بمواصلة الجهد والدراسة والفحص والتمحيص جيلا بعد جيل، من إبداع ،وجمع ،وتأسيس، إلى تهذيب وتطوير.

علم البلاغة من أشرف علوم الأدب وأهمّها، والقرآن الكريم هو المعجزة الإلهية الخالدة، الذي تحدّى الله تعالى الناس كلهم ببلاغته، فلم يتصدّ للإتيان بما يوازيه أو يدانيه، واحد من بلغاء العرب و فصحائهم، على الرغم من أنّهم كانوا أكثر من حصى البطحاء، و أوفر عدداً من رمال الصحراء، فال أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين:" اعلم علّمك الله الخير، ودلّك عليه، وقيّضه لك، وجعلك من أهله أنّ أحقّ العلوم بالتعلّم، وأولاها بالتحفّظ ـ بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه ـ علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحق، الهادي إلى سبيل الرّشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحّة النبوة، ..."[2]وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة،

(1)لسان العرب، ابن منظور، قدم له: عبدالله العلايلي، دار الجيل، بيروت ــ لبنان، دط، 1987م، 369/1.
(2)كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، دار الكتب العلمية، ط1، 2008م، ص7.

وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ماخصه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شَحَنَه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف، وضمَّنه من الحلاوة، وجَلَّله من رونق الطلاوة، مع سهولة كَلِمِه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيرت عقولهم فيها، فعلم البلاغة يهدي إلى مواطن الجمال أو القبح في النصوص، وهو طريق يفتح لنا مدارك الفهم حيث تتعرى النصوص به في بيان مشرق واضح.

ولقد برزت الحاجة إلى وضع علم البلاغة في الفترة التي بدأ فيها الذوق السليم يضمحل أو تقل درجته في نفوس العرب، حدث ذلك عندما اختلط العرب بشعوب الأمصار حيث كان تأثر اللغة العربية بذلك الاختلاط أمراً حتمياً، ومن ثم ظهرت الحاجة إلى وضع أصول وقواعد تمكن طلاب اللغة والأدب من تجنب الزلل، أو الوقوع في الخطأ، وتحولت البلاغة من فن، إلى علم، في القرن الثالث الهجري، في حين برز جلهم في القرون الأربعة التالية.

وكان السكاكي (626هـ) من أبرز العلماء في القرن الثالث حيث ألف كتابه «مفتاح العلوم» وهو فعلاً كمسماه مفتاح للعلوم وقسمه ثلاثة أقسام، الأول في الصرف، والثاني في النحو، والثالث في البيان والمعاني، وذيله بالكلام عن الفصاحة وألحق به بالكلام عن القافية والعروض، والكتاب اشتهر بقسمه الثالث، وقد قعَّد السكاكي وأحسن الاستدلال وشعّب وتفرّع، وتولى مهمة البحث بعده الخطيب القزويني (739هـ) فألف كتاب «تلخيص المفتاح» وهو تلخيص القسم الثالث لكتاب مفتاح العلوم،فكانا القزويني و السكاكي من المتكلمين والفلاسفة، ثم إنه عرف القزويني أن تلخيصه متن محدود موجز فألف كتابه الثاني«الإيضاح» وفيه تفصيل، وهو ليس شرحاً للتلخيص وإنما كما قال «جعلته كالشرح»؛ لأنه قدم وأخَّر، وبدَّل وغيَّر، وطعَّمه بتحليلات الجرجاني، واستنباطات الزمخشري في الكشاف، وضوابط السكاكي، وأضاف شيئاً من منطقه وتحليلاته وتحديداته، كما استدرك على أستاذه السكاكي بعض الموضوعات فخالفه فيها.وكل ذلك محصور في مجالين واضعين، هما العناية بالقاعدة،أو العناية بالذائقة، وهما محل دراسات طويلة، كما كتاب في استدراكات السعد على الخطيب في المطول – دراسة بلاغية تحليلية. أحمد هنداوي. مكتبة وهبة. القاهرة. ط1. 1422هـ، وكتاب علم البيان – دراسة تحليلية لمسائل علم البيان. بسيوني عبد الفتاح. دار المعالم الثقافية. الأحساء. ط2. 1418هـ، وكتاب البلاغة عند السكاكي. أحمد مطلوب. دار النهضة. بغداد. ط1. 1384هـ.

ذهب العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت395هـ) إلى أن البلاغة سميت بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، والبلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم. وحاول ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) أن يحدد البلاغة ويرسم معالمها غير أنه لم يأت بالتعريف الجامع المانع، فهو لم يعرف البلاغة، وإنما فرّق بينها وبين الفصاحة. كذلك لم يفرّق عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) بين المصطلحين؛ لأن الفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان أمور مترادفة. وهذا يعني أن الحدود الدقيقة لم تكن قد اتضحت بعد، وأن هذه المصطلحات لم تستقل وتأخذ معناها الخاص. وقد نحا الفخر الرازي (ت606هـ) منحى عبد القاهر في فهم كل من الفصاحة والبلاغة، فالبلاغة عنده: بلوغ الرجل بعبارته كُنْه ما في قلبه مع الاحتراز عن الإيجاز المخلّ والإطالة المملة.[1]والبلاغة عند ضياء الدين بن الأثير (ت637هـ) شاملةٌ للألفاظ والمعاني، وهي أخصُّ من الفصاحة، فكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغاً. والبلاغة تكون في التركيب، إذ لا توصف اللفظة المفردة بالبلاغة.

وحينما قسم السكاكي (ت626هـ) البلاغة ووضّح معالمها في كتابه «مفتاح العلوم» عرّفها تعريفاً دقيقاً، فقال: «هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد التشبيه والمجاز والكناية على وجهها». فهو بهذا التعريف يدخل مباحث ما يعرف بعلم المعاني وعلم البيان، ويخرج مباحث البديع لأنه في نظره وجوه يؤتى بها لتحسين الكلام، وهي ليست من مرجعي البلاغة. أما الخطيب القزويني (ت739هـ) وهو آخر من وقف عند البلاغة من المتأخرين، فيفرق بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم، وعن الأولى يقول: «وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف، ومقامات الكلام متفاوتة: فمقام التنكير يباين مقام التعريف.. وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام، وتطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه عبد القاهر النظم[ر] أما بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ».[2] وقسم القزويني البلاغة إلى ثلاثة أقسام مستنداً إلى السكاكي. فكان ما يحترز به عن الخطأ علم المعاني، وما يحترز به عن التعقيد المعنوي علم البيان، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مقتضى الحال وفصاحة علم البديع، وظل هذا التعريف شائعاً، وذلك التقسيم سائداً، وأصبح مصطلح

[1]انظر: أساليب بلاغية، أحمد مطلوب الرفاعي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م،ص 58.
[2]بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط17، 2005م، 1أ34.

البلاغة يضم الفصاحة وعلم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، حتى بداية عصر النهضة العربية الحديثة، فظهرت محاولات التجديد في الدراسات الأدبية والنقدية والبلاغية، كما سيأتي. وهكذا يبدو من تعريفات القدماء أن البلاغة هي حسن البيان، وقوة التأثير، وهي بمعنى آخر: تأدية المعنى واضحاً بعبارة فصيحة مشرقة لها في النفس أثر خلاّب مع ملاءمة كل كلام للسياق الذي يرد فيه، والأشخاص الذين يُخاطَبون. فإذا ما أصاب الكلام معناه بوضوح وسلامة مع خلوّه من التكلف والفضول، ومراعاته مقتضى الحال، فهو البليغ. وهذا يعني أن البلاغة شاملة للفظ والمعنى. ويظل مصطلح البلاغة مرادفاً البيان أي الظهور والوضوح حتى بدء عصر التأليف المتخصص في البلاغة والنقد الأدبي في القرن الرابع الهجري.

وليس من شك في أن تطور دلالة مصطلح البلاغة إلى أن استقر في البحث البلاغي المتأخر، كما سبق إنما هو نتيجة طبيعية ومنطقية لمراحل مرّ بها، بدأ منذ بواكير النقد والملاحظات البلاغية غير المعللة في العصر الجاهلي، إذ فُطر الشعراء على الأداء البليغ، أو هدتهم إليه سلائقهم، وألفته ألسنتهم وآذانهم، وكانت أحكامهم خالية من التعليل، ولها مظاهر عدة. أما في العصر الإسلامي فكان القرآن حجّة بلاغية ترك أثراً قوياً في نفوس العرب آنذاك، بسمو بيانه، وروعة أسلوبه، وحاروا في تعليل أثره في نفوسهم، وهم أهل اللغة وأرباب البلاغة، وقد تحداهم القرآن الكريم أن يأتوا بسورة من مثله أو أقل من ذلك، فعجزوا عن مجاراته، لأنه كتاب الله المعجز، نزل على نبيّه الأمين، فظهرت فيما بعد دراسات تخصصت في بحث قضايا إعجاز القرآن وبلاغته ونظمه.

ظهرت دراسات ومصنفات كثيرة تناولت مبحث البلاغة في معرض الحديث عن الأدب واللغة، من أهمها كتاب سيبويه (ت180هـ) ومعاني القرآن للفرّاء (ت207هـ) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (ت211هـ) وفحولة الشعراء للأصمعي (ت216هـ) والبيان والتبيين، والحيوان للجاحظ (ت255هـ) والشعر والشعراء وأدب الكاتب لابن قتيبة (ت276هـ) والكامل ورسالة البلاغة للمبرد، ولم تكن كتب هذه المرحلة مخصَّصة للبحث البلاغي، ولا متعمقة في تأصيله، وإنما هي مرحلة تمهيد للتأليف الذي بدأ في أواخر القرن الثالث حين وضع ابن المعتز العباسي (ت296هـ) كتابه «البديع» ويقصد بالمصطلح «الجديد» أو «الجميل» أو «المخترع» ذاهباً إلى أن البديع ليس من اختراع الشعراء المحدثين في العصر العباسي، وإنما هو قديم موجود في الشعر الجاهلي والإسلامي وفي القرآن والحديث الشريف، فكان هذا الكتاب القيّم أول مؤلف في البلاغة جمع فنونها، وحلل بعض جماليات التشكيل البلاغي في الشعر. ثم تتالت الدراسات النقدية «كعيار الشعر» لابن طباطبا (ت322هـ) و«نقد الشعر» لقدامة بن جعفر (ت337هـ) و«الموازنة بين الطائيين» للآمدي (ت371هـ) و«الوساطة بين المتنبي وخصومه» للقاضي الجرجاني (ت392هـ) وكتاب «الصناعتين» للعسكري، و«سر الفصاحة» لابن سنان الخفاجي، و«العمدة» لابن رشيق القيرواني (ت456هـ).[1]

أما عصر النضج وازدهار الدراسات فيتمثل بمؤلفات عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، والكشّاف للزمخشري (ت538هـ)، فقد وضع عبد القاهر أصول نظرية النظم، فكانت نظرية أدبية متكاملة، نتج منها منهج لغوي تحليلي وذلك في كتابه دلائل الإعجاز، وفيه اتجه نحو التقنين وتحديد المعالم الذوقية ووضع مباحث علم المعاني. أما في أسرار البلاغة فكان له نظرة متكاملة تقريباً في علم البيان. وكانت علوم البلاغة واضحة تمام الوضوح في ذهن الزمخشري، فمضى يطبقها على آي الذكر الحكيم مهتماً بعلمي المعاني والبيان خاصة لتشابكهما في دلالات الألفاظ والتراكيب، وفي أسرار الإعجاز القرآني ولطائفه الدقيقة، كما يقول شوقي ضيف في كتابه «البلاغة تطور وتاريخ».

كانت آيات القرآن الكريم الشاهد البلاغي الرفيع، كما كان ما فيها من روعة وجمال وتأثير مدعاة إلى التأليف في غريبه ومعانيه وأسراره ومجازه وإعجازه، وكان لمسألة الإعجاز أثر كبير في تطور الدراسات البلاغية والنقدية، وخاصة على أيدي أعلام علم الكلام من المعتزلة وغيرهم، أولئك الذين كانوا أول من بحث الإعجاز، فتسلحوا بمناهج عقلية، وعُرفوا بقوة البيان، وحسن الرأي، ونفاذ البصيرة وقوة الحجّة، وضع ابن قتيبة الدينوري كتابه «تأويل مشكل القرآن» ممثلاً لرأي أهل السنة، رداً على تيارات المتكلمين وآرائهم في تفسير الإعجاز، فالقرآن في نظره معجز بنظمه وسمو تأليفه عن سائر كلام العرب ونظمهم، أما جوانب الإعجاز فتتعلق بأمور هي: النظم بمعنى سبك الألفاظ وضم بعضها إلى بعض في تأليف دقيق بينها وبين المعاني، والنظم الموسيقي ويشمل الإيقاع الداخلي في الآيات، وما جمعه من صفات تفوق كل أثر بياني للعرب، وبما جمع من المعاني وضروب العلم، وما جمع من دلائل الألوهية ومظاهرها، ولما له من أثر نفسي يثير الوجدان عن طريق الشعور، ويهز القلوب، وقد شهد القرنان الرابع والخامس الهجريان مرحلة خصبة وغنية في تأريخ الدراسات البلاغية للقرآن الكريم ففيهما نضجت نظريات العلماء في طبيعة الإعجاز، وتحددت اتجاهاتهم ومنازعهم في الكشف عن أسراره. في هذه المرحلة

[1] انظر: الموجز في تاريخ البلاغة، د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت ـ لبنان، ط6، 2006م، ص15.

تظهر جهود كل من الرماني علي بن عيسى (ت386هـ) والخطّابي حمد بن محمد (ت388هـ) والباقلاني محمد بن الطيب (ت403هـ) والقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (ت415هـ) وعبد القاهر الجرجاني.

ذهب العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت395هـ) إلى أن البلاغة سميت بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، والبلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم. وحاول ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) أن يحدد البلاغة ويرسم معالمها غير أنه لم يأت بالتعريف الجامع المانع، فهو لم يعرف البلاغة، وإنما فرّق بينها وبين الفصاحة. كذلك لم يفرّق عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) بين المصطلحين؛ لأن الفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان أمور مترادفة. وهذا يعني أن الحدود الدقيقة لم تكن قد اتضحت بعد، وأن هذه المصطلحات لم تستقل وتأخذ معناها الخاص. وقد نحا الفخر الرازي (ت606هـ) منحى عبد القاهر في فهم كل من الفصاحة والبلاغة، فالبلاغة عنده: بلوغ الرجل بعبارته كُنْه ما في قلبه مع الاحتراز عن الإيجاز المخلّ والإطالة المملة. والبلاغة عند ضياء الدين بن الأثير (ت637هـ) شاملةٌ للألفاظ والمعاني، وهي أخصُّ من الفصاحة، فكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغاً. والبلاغة تكون في التركيب، إذ لا توصف اللفظة المفردة بالبلاغة.

إن مفهوم المصطلح البلاغي لم يترسخ إلا منذ عهد السكاكي، إذ قسم البلاغة إلى علومها الثلاثة، وحددت مجالاتها ومباحثها، بعد أن كان البديع أو البيان أو الفصاحة كلها مترادفات تعني أمراً واحداً. وقد بدأ الاهتمام بهذه المسائل منذ صدر الإسلام مروراً بتأثير البحث في أسلوب القرآن، إلى عصر التأليف العام ثم المتخصص، حين صارت البلاغة عند الخطيب القزويني ومن تبعه من البلاغيين محصورة في علوم المعاني والبيان، والبديع الذي كان وجوهاً لتحسين الكلام وتذوقه، وقسمت محسناته إلى معنوية ولفظية. ثم أطلق عليها علم البديع، هذه العلوم هي باختصار:علم المعاني: عرّفه السكاكي في (المفتاح) بقوله:"هو تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[1]وهوالعلم الذي يتناول أحوال الجملة من حيث: الإسناد الخبري والإنشاء، وأسلوب القصر، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب والمساواة، وأحوال أجزاء الجملة: أي المسند والمسند إليه، ومتعلقات الفصل كالتعريف والتنكير، والحذف والذكر، والتقديم والتأخير، والإظهار والإضمار.. وغير ذلك مما اصطلح عليه مباحث علم المعاني،وكيف تأتي مطابقة لمقتضى الحال، أي إنه يبحث في بناء الجملة: صوغها، اختيار أجزائها، علاقة الجمل المتتابعة بعضها ببعض، اختيار نوع الكلام الملائم لمقتضى حال المخاطب: خبراً أو إنشاء أو إيجازاً أو إطناباً أو مساواة.. فإذا كان النحوي يدرس هذه الأحوال من حيث الجواز والوجوب والامتناع، أي من حيث الحكم وإمكان الاستعمال، فإن البلاغي يدرس الأسرار الكامنة وراء هذه الأحوال، أي يهتم بمعنى المعنى كما سماه عبد القاهر، أي أن ينقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر. وهذا أحد مزايا النمط العالي من الكلام، فعلم البيان: عرفه الخطيب القزويني بأنه: "علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"[2]. وكان قوله: «بطرق مختلفة» مدعاة للكلام في الدلالات، والحديث عن شروط دلالة الالتزام.. وقد قسم القزويني البيان كما فعل السكاكي.

وهكذا أضحت موضوعات علم البيان تتناول التشبيه: طبيعته، أركانه، أنواعه، أقسامه، أغراضه. والحقيقة والمجاز المفرد والمركب، والاستعارة وعلاقاتها بالمجاز، والفرق بين التشبيه والاستعارة، وأقسام الاستعارة، وخصائصها، ومزاياها البلاغية، ووظائفها الجمالية، والكناية وأقسامها وعلاقاتها والفرق بين الكناية والتعريض، واجتماع التعريض المجاز والرمز والإشارة، وبلاغة الكناية وسر جمالها، علم البديع: تفاوتت دلالة المصطلح عند البلاغيين والنقاد كقدامة والعسكري والقاضي الجرجاني والباقلاني وعبد القاهر. فالبديع عندهم من فنون البلاغة المختلفة كالاستعارة والتمثيل والتجنيس والحشو، بل كان مرادفاً للبيان والفصاحة والبلاغة .كما أسلفنا . إلى أن جاء السكاكي فلم يهتم به كثيراً، وسمّاه وجوه تحسين الكلام ولم يدخله في البلاغة. ثم جاء بدر الدين بن مالك (ت686هـ) فلخص القسم الثالث من مفتاح العلوم في كتابه «المصباح» وأطلق البديع على القسم الثالث من البلاغة وعرّفه بأنه «معرفة توابع الفصاحة» وقال عن المحسنات إنها مما يكسو الكلام حلّة التزيين، ويرقيه أعلى درجات التحسين، ويتفرع منها وجوه كثيرة يُصار إليها في باب تحسين الكلام. وقسمها إلى لفظية أو معنوية مختصة بالإفهام والتبيين، أو مختصة بالتزيين والتحسين. وهذا تقسيم جديد لم يؤلف عند السكاكي أو غيره من البلاغيين وتابعه الخطيب القزويني ففصل البديع عن علمي البلاغة ونظر إليه بوصفه علم تحسين وتزيين، وعرّفه بأنه "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته"[3]، وجعل هذه المحسنات نوعين:محسنات لفظية: يكون التحسين فيها راجعاً إلى اللفظ أولاً ويتبعه تحسين

---

[1] بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مصدر سابق، 34/1.

[2] الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء علوم الدين، بيروت ـ لبنان، 1998م، 201/1.

[3] الإيضاح في علوم البلاغة، مصدر سابق، 16/1.

المعنى ثانياً أو بالعَرض فتشمل: السجع ولزوم ما لا يلزم والجناس ورد الأعجاز على الصدور، وبراعة الاستهلال والسرقات الشعرية وغيرها كالموازنة والتشريع والقلب، ومحسنات معنوية: وهي التي يكون التحسين فيها راجعاً إلى المعنى أولاً وبالذات، ويتبعه تحسين اللفظ ثانياً وبالعرض وتشمل: الطباق والمقابلة ومراعاة النظير وائتلاف اللفظ مع المعنى، والإبداع والمبالغة والاستطراد والمذهب الكلامي والمشاكلة وتجاهل العارف وتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه، واللف والنشر وصحة الأقسام والجمع والتفريق والتقسيم والاستقصاء والتوجيه، والتورية والاستخدام، والمزاوجة وحسن التعليل، والتجريد والاستدراج، والإدماج والهزل الذي يراد به الجد والاطراد.

ومنذ القرن السابع للهجرة بالغ جماعة في جمع ألوان البديع، وسلكوا في جمعها مسالك التكلف والتلاعب بالألفاظ، ووجهوا همهم إلى رصّ ألوانه ضاربين صفحاً عما ينبغي أن يُراعى في الشعر من مقتضيات الذوق والفن وخصوصية الإبداع، والمواءمة بين النغم والتجربة الشعرية، وسموا تلك القصائد بالبديعيات، وعرّفوها بأنها: قصائد اشتمل كل بيت منها على لون أو أكثر من ألوان البديع تمثيلاً فقط، أو مضموماً إليه التزام التورية باسمه. فهي منظومات في البديع تشبه ألفية ابن مالك في النحو أو الشاطبية في القراءات. وأشهر من ألّف في البديعيات بحسب التسلسل التاريخي الأربلي الشاعر المصري الصوفي (ت670هـ) وصفي الدين الحلي (ت750هـ) وابن جابر الأندلسي (معاصر الحلي) وعز الدين الموصلي (ت789هـ) وابن حجة الحموي (ت837هـ) واستمرت بعدئذ فكانت بديعية عائشة الباعونية الدمشقية (ت922هـ) وابن معصوم الحسيني المدني (ت1117هـ) وعبد الغني النابلسي (ت1143هـ) ومحمود صفوت الساعاتي المصري (ت1298هـ) وغيرهم.

جرى في العصر الحديث جدال ونقاش حول البلاغة العربية: أصالتها، ومصطلحها، وتأثرها بالفلسفة والمنطق، والمثاقفة ومناهج دراستها وتدريسها، . وكان كتاب «الأسلوب» لأحمد الشايب أول محاولة إيجابية في سبيل بعث البلاغة العربية الأصيلة والبحث عن مجالاتها، وما يمكن أن تتسع له وما لا ينبغي أن تجاوزه. وقد كان هذا الكتاب وكتابه الآخر «أصول النقد الأدبي» الذي أصدره سنة (1940م) بيانين عن ضرورة النهوض لتحويل درس البلاغة إلى نقد أدبي، واستطاع الشايب أن يثير عدة قضايا جمالية عن الذوق والجمال والإحساس الجمالي (الاستاطيقي)، إن البلاغة ليست أمراً مستقلاً عن اللغة، بل هي الأمر الذي يساعد اللغة على أداء وظيفتها، أعني الإعراب عما في النفس. وإن البلاغة قد اختلطت بالنقد من حيث الموضوع أولاً. فالنص الأدبي شركة بينهما، لكنهما يختلفان من حيث المعالجة: فالبلاغة لا تُعنى بالصلة بين العمل الفني وصاحبه، ولا بالقيم العقلية والعاطفية في النص، فهي تُعنى بالأسلوب وخصائصه وما فيه من صور بلاغية، إنما تصور للناشئة قواعد الأدب التعبيرية حتى يحسنوا إنشاءهم الأدبي، فتصف وتعلم، على حين يحلل النقد الظواهر الواضحة والمستترة في العمل، ويتعرض لصلة بصاحبه، ويحكم على قيمته ومنزلته، ويحاول أن يقدر درجته الفنية تقديراً موضوعياً دقيقاً. وإذا كان النقد أقرب إلى الفن منه إلى العلم البحت، فإن البلاغة أقرب ما تكون منها إلى العلم، لأنها تستند إلى قواعد وقوانين، إلى جانب أن النقد من أهم العوامل في إيجاد البلاغة، فالملاحظات النقدية والأحكام المختلفة على الأدب أفادت البلاغيين فأحالوها قوانين وقواعد كانت خصبة ذوقية نصّية حتى القرن الخامس ثم تحولت إلى جافة عقيمة فيما بعد.

وإذا كان النقد يضع لنا المقاييس العامة المستندة إلى نتائج العلوم الإنسانية إضافة إلى عنصري الذوق والجمال، فإن البلاغة ترشدنا إلى الوسائل التي تجعل كلامنا نافعاً مؤثراً مؤصلاً على قواعد عامة مستقاة من النصوص لأنها تعنى بالأسلوب وترسم خطة الأداء، في حين يتناول النقد المعاني والأساليب، أي عناصر العمل الفني متحدة. فالبلاغة والنقد ممتزجان، وقد كان لنشأتها في ظل دراسات الإعجاز أثر كبير في إضفاء النزعة الدينية على مباحثها. إن البلاغة هي البحث الأسلوبي في النقد إنها تعلّم صناعة الأدب والأداء الرفيع، وتسهم في تكوين الذوق الأدبي، وتبصّر بالصفات التي تكسب النص سموّاً ورفعة، أو تورثه الضعف والتخلف، إذ تشكل الجانب الموضوعي في عملية النقد حين تلفت نظر الناقد إلى أدوات الأديب ووسائله.بناء على ذلك كله، أليست البلاغة هي الدرس الذي يعلّم الأحسن والأكمل من الكلام، حين تفهم كما فهمها المتقدمون، فتتسع دائرة بحثها لكل ما تشمله طبيعة الفن القولي وعمل الفنان الصانع والناقد؟

### السكاكي وآثــاره

قال د. عمر فروخ في تاريخ الأدب العربي: هو سراج الدين أو بكر أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي المعروف بالسكاكي[1] بدأ حياته العملية سكاكا ثم مالت نفسه إلى العلوم، فصار بارعا في علوم شتى، وقامت شهرته على كتابه مفتاح العلوم، وقال الزركلي: هو أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي ، ولد في خوارزم سنة 555هـ ويظهر أن أسرته كانت تحترف صنع المعادن ، وخاصة

[1]انظر: تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، دار العلم للملايين،3 بيروت ـ لبنان، ط7، 2006م،484/3.

السكك ، وهي المحاريث التي تفلح بها الأرض ، ومن ثم شاع لها لقب السكاكي وربما كانت تعنى بصنع السكة وهي حديدة منقوشة تضرب بها الدراهم وقد أجمع المترجمون له على أنه ظل إلى نهاية العقد الثالث من حياته يعنى بصناعة المعادن حتى وقر في قلبه أن يخلص للعلم ويتفرغ له ، وإذا هو يكب عليه يحاول أن يلتهمه التهاماً أما شيوخه فقد ذكرت كتب التراجم أنه تتلمذ على يد سديد الدين الخياطي وابن صاعد الحارثي ومحمد بن عبد الكريم التركستاني وهم جميعا من فقهاء المذهب الحنفي ، وأشاد في مباحثه البلاغية بأستاذه الحاتمي ، وله مصنفات مختلفة ، أهمها المفتاح ، ويظهر أنه كان يشتهر في عصره شهرة واسعة ، حتى إن ياقوت الحموي ليقول عنه فقيه متكلم متفنن في علوم شتى ، وهو أحد أفاضل العصر الذين سارت بذكرهم الركبان وفاته توفي بخوارزم سنة ست وعشرين وستمائة للهجرة رحمه الله رحمة واسعةأثر السكاكي في البلاغة العربية ولا يماري منصف في أن أبا يعقوب كان رجلا قادر العقل حاد الذهن واسع الثقافة متضلعا في علوم شتى ، وقد كانت مباحث البلاغة تدرس قبله ، وكأنها جذاذات من الورق في كل قطعة منها مسألة ، ويختلف ترتيب هذه المسائل في الكتب البلاغية كما يختلف ترتيب هذه الجذاذات قبل أن تمتد نحوها يد تنظم وتنسق ، وهذا واضح فيما كتبه الإمام عبد القاهر ، وفيما نثره الزمخشري في كشافه ، نعم كان هناك إحساس بأواصر قوية بين الفنون المتصلة بدراسة الصورة البيانية ، فكان يجمع التشبيه مع المجاز والكناية في نظام واحد إلا أن هذا كان إحساساً غائماً ، وقد يتخلف فتختلط المسائل كما هو الحال في كتاب دلائل الإعجازوكان ذكر الزمخشري لعلمي المعاني والبيان ، إشارة بينة إلى تمييز هذه المسائل وتصنيفها في هذين العلمين ، وإن كان ذلك لم يتم على يديه ، وكان من الخير كما يرى السكاكي، أن تضبط مسائل هذين العلمين وأن تحدد تحديدا بيناً ، وأن تميز تمييزاً كاشفاً ، فكان هو أول من فعل ذلك فحدد أبواب علم المعاني وحصرها وحدد أبواب علم البيان وحصرها فأتم بذلك ما بدأ الزمخشري، فهو أحد أئمة العربية في عصره، عالمفذ في النحو والتصريف والمعاني والبيان والعروض والشعر وغير ذلك،[1] له مصنفات عدة في اللغة والأدب منها: مفتاح العلوم، ورسالة في علم المناظرة، ومصحف الزهرة . قال السيوطي: "قال ابن فضل الله في المسالك: ذو علوم سعى إليها فحصّل طرائقها، وحفر تحت جناحه طوابقها، واهتز للمعاني اهتزاز الغصن البارح، ولزّ من تقدمه في الزمان لزّ الجذَع؛ فأضحى الفضل كله يُزم بعنانه، ويزم السيف ونصله بسنانه"[2] وقال عنه ياقوت الحموي: "علامة إمام في العربية والمعاني والبيان والأدب والعروض والشعر، متكلم فقيه متفنن في علوم شتى، وهو أحد أفاضل العصر الذين سارت بذكرهم الركبان".[3] وقد تميز السكاكي في مفتاحه عن أسلافه بحسن التبويب، ودقة الترتيب، فأتى كتابه في ثلاثة أقسام: الأول منها للصرف، والثاني للنحو والثالث للبلاغة بعلومها الثلاثة، وما يلحق بها من قافية وعروض وفصاحة وبلاغة ومحسنات، وهي كلها علوم يحتاج إليها كل دارس لعلوم العربية في البلاغة والنقد، وقد اتسم كتاب مفتاح العلوم بالتعقيد وكثرة الحدود والتقسيم والتفريع ومع ذلك فقد سار العلماء على نهجه من بعده فقد "سار في دراسة هذا الفن على منهج علمي يتخذ من الفلسفة والمنطق وعلم الكلام أساساً يبني عليه التعريفات والتقسيمات"[4]

وقد اكتسب كتابه المفتاح شهرته من قسمه الثالث الذي تناول السكاكي فيه علم المعاني والبيان وجعلهما حدّاً للبلاغة، ثم جعل البديع تابعاً لهما ففي علم المعاني قسم الكلام إلى خبر وطلب، وجعل الطلب شاملاً للاستفهام والتمني والأمر والنهي والنداء أما الخبر فقد تناول فيه الإسناد الخبري والمسند والمسند إليه والفصل والوصل والإيجاز والإطناب ثم انتقل إلى علم البيان ولم يُدخل التشبيه ضمنه؛ لأن دلالته ـ عنده ـ وضعية، وإنما علل دراسته في هذا الجزء بأن الاستعارة مبنية على التشبيه، وقد تبع الرازي في ذلك، ثم تناول الاستعارة والمجاز وقسمهما.

أما عن منهجه في كتابه فقد لاحظ الدكتور أحمد مطلوب أن السكاكي يكثر من الاستشهاد بآيات القرآن على عكس عبدالقاهر، يقول في ذلك: "وقد أكثر من الاستشهاد بالقرآن الكريم، وهذا أمر طبيعي لأنه يريد أن يظهر ما في آيات الكتاب من روعة وإبداع وبلاغة، وقف أمامها العرب مسحورين، ويأتي الشعر في الدرجة الثانية"[5] ومن الظواهر المتعلقة بهذا الموضوع؛ أن السكاكي يقتصر في الآيات على موضع الشاهد ماجعل الدكتور أحمد مطلوب يقول عنه: "كان من أثر اهتمامه بالشكل أن قلل الشواهد، وبتر كثيراً من الأبيات الشعرية، فأصبحت مسخاً لايفهم منها القارئ شيئاً، إلا إذا كان حافظاً للشعر، أو رجع إلى مظانها يكمل ماقطع السكاكي منها..."[6]

---

(1) انظر: تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، مصدر سابق، 488/3.

(2) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ـ لبنان، 364/2.

(3) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط1، 1993م، 6/ 2846.

(4) البلاغة تاريخ وتطور،د شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط9، 1995م، ص 287– 288.

(5) أساليب بلاغية، مرجع سابق، ص83.

(6) أساليب بلاغية، مرجع سابق، ص 83.

وكان منهجه يختلف عن منهج عبد القاهر الواضح، فقد أوضح في مقدمته أن مراده كان جمع كلام السابقين، وتمييزه واختيار المناسب منه، وتلخيصه، يقول السكاكي في مقدمة مفتاحه: "وما ضمنت جميع ذلك كتابي هذا إلا بعد ما ميزت البعض عن البعض التمييز المناسب،ولخصت الكلام على حسب مقتضى المقام"[1]

وقد صنف السكاكي كتابه المفتاح بعد اطلاعه على أعمال أسلافه أمثال الجاحظ وقدامة بن جعفر، ويكفي القول إن الجرجاني (471هـ) بكتابيه (الأسرار) و (الدلائل) هو الأساس الذي أرسى عليه السكاكي قواعد القسم الثالث من كتابه مفتاح العلوم في البلاغة، فقد كانا غير ملخصين ولا تامي الترتيب، فهما مثل درٍّ متناثر، كنَزه صاحبه لينظم منه عقداً عند تآخيه، فانبرى السكاكي الخوارزمي إلى نظم تلك الدرر فألف كتابه العجيب المسمى مفتاح العلوم في علوم العربية وأودع القسم الثالث منه الذي هو المقصود من التأليف مسائل البلاغة دونها على طريقة علمية صالحة للتدريس والضبط، بعد الاستفادة من التلخيص الذي وضعه الرازي (606 هـ) على كتابي الجرجاني والمسمى «نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز من أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز»، ومن مسائل الكشاف في تفسير القرآن للزمخشري، فأصبح عمدة الطالبين لهذا العلم وتتابع الأدباء بعده في التأليف في هذا العلم الجليل، وصار الكتاب محوراً لتأليفهم وشروحهم .

يقول شوقي ضيف عن المفتاح: وبذلك يتم تلخيص السكاكي لعلمي البلاغة: المعاني والبيان وما ألحقه بهما من الفصاحة المعنوية واللفظية وما يتبعهما من المحسنات البديعية، وهو تلخيص أشاع فيه كثيراً من العسر والالتواء، بسبب ما عمد إليه من وضع الحدود والأقسام المتشعبة ... وحقاً استطاع السكاكي أن يسوّي من نظرات عبدالقاهر والزمخشري علمي المعاني والبيان، ولكن بعد أن أخلاهما من تحليلاتهما الممتعة البارعة للنصوص الأدبية، وبعد أن سوى قواعدهما تسوية منطقية عويصة، حتى ليصبح المنطق وأيضاً الفلسفة جزءاً منهما لا يتجزأ، وحتى ليحتاج كتابه في هذا القسم إلى الشرح تلو الشرح ... وكل شارح يضيف من أصباغ المنطق والفلسفة وعلم الكلام ماتمده به ثقافته، وكان ذلك كله إيذاناً بتحجر البلاغة وجمودها جموداً شديداً، إذ ترسبت في قواعد وقوالب جافة، وغدا من العسير أن تعود إليها حيويتها ونضرتها القديمة[2] يقول مازن المبارك عن منهج السكاكي في المفتاح: "فإذا عرفنا أن السكاكي كان متأثراً بثقافته النحوية والمنطقية والكلامية، وعرفنا أنه صبغ البلاغة في كتابه بصبغة هذه العلوم، عرفنا سبب طغيان القوالب والحدود على علوم البلاغة، وعرفنا سبب التعقيد الذي أصابها عنده وعند من قلده وحذا حذوه"[3]

يقول أحمد المراغي: "وهكذا تراه يسير قدماً في حشو كتابه بالمصطلحات المنطقية، فيذكر الألوان والطعوم والروائح والحواس ومقارها، والوهم والخيال والحس المشترك والوجدان، والكلام على الفاعل الحقيقي واختلاف الآراء في ذلك، ومع كل هذا فقد كان قلمه أثارة من الأسلوب الأدبي الذي درج عليه من سبقه من المؤلفين في علوم الفصاحة"[4]فالسكاكي –على الرغم مما اتهم به بأنه وراء جمود البلاغةالعربية وعقم مباحثها–تناول كثيراً من القضايا الأسلوبية المهمة التي نحن في حاجة ماسة إليها الآن، لفهمها واستيعابها كي نتمكن من التعامل مع النصوص الأدبية الحديثة، والكشف عن قيمها الأسلوبية والبلاغية بمنهج عربي أصيل، وأنّ ماقام به من تصنيف وتقسيم لمباحث البلاغة كان ضرورة علمية ومنهجية اقتضتها ظروف البلاغة العربية في مرحلة كانت تعاني من تداخل مباحثها وتفرقها وحاجتها إلى الضبط والترتيب، وتلك خطوة مهمة لإصباغ البلاغة العربية بصبغة علمية ومنهجية، تؤتي ثمارها المرجوة في الدرس البلاغي والنقدي على حد سواء. إن قضايا العدول اللغوي، ومراعاة مقتضى الحال، وتباين المقامات فياستدعاء صور كلامية معينة، وارتباط القيم البلاغية والأسلوبية بالدلالات العقلية لا الوضعية، وانتظام حركتي المماثلة والمفارقة للصيغ البديعية وغيرها، لتشكل مجتمعة أساس البحث الأسلوبياللساني، ومن ثم فإن محاولة الكشف عنها وتجلياتها في مفتاح العلوم ليقربنا من قواعد علم الأسلوب، ويجعلنا نشعر بنوع من الاطمئنان إلى موروثنا البلاغي، وما يزخر به من قضايا حداثية أصيلة تصلح لأن تشكل نظرية أسلوبية عربية خالصة، ومحاولة للكشف عن هذه القضايا الأساسية وغيرها.

ومن آثاره مفتاح العلوم، وهو مطبوع، وكتاب الجمل، وهو شرح لكتاب الجمل لعبد القاهر الجرجاني، والتبيان، «الطلسم» وهو باللغة الفارسية، ورسالة في علم المناظرة، وتناول الشيخ يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الملقب (سراج الدين السكاكي). صاحب كتاب ( مفتاح العلوم) الذي يذكر فيه اثني عشر علماً من علوم العرب، مع أنه لم يكن من العرب، وكان في بادئ أمره حداداً فعمل بيده محبرة صغيرة من حديد، وجعل لها قفلاً عجيباً، ولم يزد وزن تلك المحبرة وقفلها عن قيراط واحد، فأهداها إلى ملك زمانه، ولما رآه

---

[1] مفتاح العلوم،مصدر سابق، ص6.
[2] انظر: البلاغة تاريخ وتطور، مرجع سابق، ص313.
[3] الموجز في تاريخ البلاغة، مرجع سابق، ص111.
[4] علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1985م، ص87.

الملك وندماء مجلسه الرفيع لم يزيدوا على الترحيب بالرجل على صنعته، واتفق أنه كان واقفاً في الحضور إذ دخل رجل آخر، فقام الملك احتراماً لذلك الرجل، وأجلسه في مقامه، فسأل عنه السكاكي؟ فقيل: إنه من جملة العلماء. ففكر السكاكي في نفسه أنه لو كان من هذه الطائفة لكان أبلغ إلى ما يطلبه من الفضل والشرف والقبول، وخرج من ساعته إلى المدرسة لتحصيل العلوم، وكان إذ ذاك قد ذهب من عمره ثلاثون سنة.فقال له المدرس: لعلك في سن لا ينفعك فيه التعلم، وأرى ذهنك مما لا يساعدك على أمر التحصيل، فلا بد من الامتحان، ثم أخذ يعلمه هذه المسألة التي هي من آراء إمامهم الشافعي، وقال له: قال الشيخ: جلد الكلب يطهر بالدباغة، وجعل يكرر له هذه العبارة عليه، ثم لما جاءه من الغد طلب منه أن يحكي درس أمسه الذي لقنه فقال: قال الكلب: جلد الشيخ يطهر بالدباغة، فضحك منه الحاضرون.. وعلّمه الأستاذ شيئاً آخر. وهكذا إلى أن مضى من عمر السكاكي في ذلك التعب في أمر التحصيل عشرة أعوام أخر، فيئس من نفسه بالكلية، وضاق خلقه، فخرج إلى البراري والجبال، فاتفق أنه كان يتردد يوماً في شعب الجبال، إذ وقع نظره على قليل من الماء يتقاطر من فوقه على صخرة صماء، وقد ظهر فيها ثقب من أثر ذلك التقاطر، فاعتبر بذلك وقال: ليس قلبك بأقسى من هذه الحجرة، ولا خاطرك أصلب منها، حتى لا يتأثر بالتحصيل، ورجع ثانياً إلى المدرسة بعزمه الثابت، وصمم في الأمر إلى أن فتح الله عليه أبواب العلوم والمعارف، وحاز قصب السبق على كثير من الأماثل والأقران من العظماء والأعيان.

**الاستدراكات على السكاكي**

1ـ استدراكات الخطيب على السكاكي في المجاز العقلي، عبد القاهر الجرجاني هو مبتكر المجاز العقلي وأعلى من شأنه، فقال: "وهذا الضرب من المجاز على حدته كنز من كنوز البلاغة، ومادة الشاعر المفلق، والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان".[1] وقد فرق بين المجاز اللغوي والمجاز العقلي بقوله : "واعلم أن المجاز على ضربين مجاز من طريق اللغة، ومجاز من طريق المعنى والمعقول، فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة كقولنا:اليد مجاز في النعمة، والأسد مجاز في الإنسان، وكل ماليس بالسبع المعروف كان حكماً أجريناه على ماجرى من طريق اللغة، لأنا أردنا أن المتكلم قد جاز باللفظة أصلها الذي وقعت له ابتداء في اللغة، وأوقعها على غير ذلك إما تشبيهاً وإما لصلة وملابسة بين مانقلها إليه ومانقلها عنه.ومتى وصفنا بالمجاز الجملة من الكلام كان مجازاً من طريق المعقول دون اللغة، وذلك لأن الأوصاف اللاحقة للجمل من حيث هي جمل لا يصح ردها إلى اللغة"[2].

ـ الجزء الأول من الخلاف: المجاز العقلي عند السكاكي جاء واحداً من مباحث علم البيان؛ لأن يرى أن علاقته المشابهة كما في باقي أقسام علم البيان، وقد تبعه صاحب المصباح، ولإنكاره للمجاز العقلي ونظمه له في سلك الاستعارة بالكناية كما سنرى في الصفحات القادمة ، أما الخطيب فقد خالف شيخه، ودرس المجاز في باب علم المعاني؛ لأنه أنسب ـ عنده ـ من علم البيان؛ لصدق تعريف الأول عليهما دون الثاني، وفي ذلك يقول: « إنما لم نورد الكلام في الحقيقة والمجاز العقليين في علم البيان كما فعل السكاكي ومن تبعه لدخوله في تعريف علم المعاني دون تعريف علم البيان»(i)، أي أن المجاز العقلي عند الخطيب باقٍ على أصله وليس استعارة، بل هو إسناد غير حقيقي.

ـ الجزء الثاني من الخلاف: المجاز العقلي عند السكاكي هو "الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل، إفادة للخلاف لا بوساطة وضع، كقولك: أنبت الربيع البقل، وشفى الطبيب المريض، وكسا الخليفة الكعبة، وهزم الأمير الجند، وبنى الوزير القصر"[3]، فيفهم من قول السكاكي أن المجاز العقلي يتعلق بإثبات الحكم في الجملة على خلاف ما عند المتكلم بطريق التأويل، ففي قولنا "أنبت الربيع البقل" نجد أن الفعل أنبت أسند إلي الفاعل "الربيع" مع أن المتكلم يعلم عن وعي أن الربيع لايسند إليه فعل الإنبات، وإنما يسند إلى الفاعل القادر، ولكن لما كان الفعل يقع عادة في زمن الربيع، أصبح إسناده إليه مبرراً لوجود العلاقة الزمانية بينهما.

2ـ مذهب السكاكي في تشبيه التمثيل وعلاقته بمذهب عبدالقاهر، لقد كان مفهوم التمثيل عاماً عند القدماء من علماء البلاغة فقد أطلقوه على كثير من الصور البيانية كالاستعارة والمجاز والكناية والتشبيه الاصطلاحي، فمن العلماء من لايرى فرقاً بين التمثيل والتشبيه كابن الأثير والرازي والزمخشري، يقول ابن الأثير: " وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لهذا باباً مفرداً، ولهذا باباً مفرداً، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، يقال: شبهت هذا الشيء بهذا الشيء كما يقال: مثلته به، وما أعلم كيف خفي

---

[1] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر أبوفهر، مكتبة الخانجي ـ مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 1992م، ص87.
[2] المصدر السابق، ص88.
[3] أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 2001م، ص 286.

ذلك على أولئك العلماء مع ظهور هو وضوحه "[1]وظل المفهوم عاماً حتى جاء الإمام عبد القاهر الجرجاني (471 هـ) فحدد مفهومه، وفرق بينه وبين التشبيه الاصطلاحي وكشف النقاب عن بلاغته، فكل تمثيل عنده تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيل، فالتمثيل أعم.

3ـ استدراكات الخطيب على السكاكي في تشبيه التمثيل.قسّم السكاكي التشبيه من حيث البساطة والتركيب إلى قسمين:تشبيه مفرد بمفرد، وتشبيه مركب بمركب، فالسكاكي يرى التمثيل ما كان وجهه مركباً عقلياً، وهو عنده . أيضاً . مركب الطرفين، بينما خالف الخطيب أستاذه في ذلك، وقرر أنه يمكن أن يكون الوجه مركباً من طرفين مفردين، كقول قيس بن الأسلت من ( البحر الطويل):

وَقَدْ لاَحَ فِي الصُّبْحِ الثُّرَيَّا كَمَا تَرَى كَعُنْقُودِ مِلاَحِيَّةٍ حِينَ نَوَّرَا[2]

يقول السعد: «الطرفان مفردان لأن المشبه هو الثريا والمشبه به هو العنقود مقيداً بكونه عنقود الملاحية في حال إخراج النور والتقييد لا ينافي الإفراد». ووجه الشبه في «الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير في المرأى على كيفية مخصوصة إلى مقدار مخصوص»، وهو وجه مركب حسي. وكذلك يرى أن الوجه المركب قد يكون من طرفين مختلفين، كما في قول الشاعر:

وَكَأَنَّ مُحْمَرَّ الشَّقِي قِ إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ

أَعْلاَمُ يَاقُوتٍ نُشِرْ نَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبَرْجَد[3]

يقول السعد في المختصر: الهيئة الحاصلة من نشر أجرا محمر مبسوطة على رؤوسأ جرا مخضر مستطيلة فالمشبه مفرد وهو الشقيق والمشبه به مركب وهو ظاهر وقد جرَّ هذا شارحَ التلخيص السعد التفتزاني إلى أن يدخل في الاستعارة التمثيلية ما يسمى بالتبعية التمثيلية، وقد أنكر السيد الشريف على السعد وشيخه الإتيان بوجه مركب من طرفين مفردين.[4]

استدراكات الخطيب على السكاكي في ردِّه التبعية على المكنية، الاستعارة عند السكاكي هيأم باب المجاز الذي ينتقل فيها اللفظ من دلالته الحقيقية إلى دلالة أخرى مجازية، فالاستعارة عنده هي "أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به، كما تقول: في الحمام أسد، وأنت تريد به الشجاع، مدعياً أنه من جنس الأسود فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به، وهو اسم جنسه، مع سد طريق التشبيه بإفراده في الذكر، أو كما تقول: إن المنية أنشبت أظفارها، وأنت تريد بالمنية السبع بادعاء السبعية لها، وإنكار أن تكون شيئاً غير سبع، فتثبت لها ما يخص المشبه به وهو الأظفار، وسمي هذا النوع من المجاز استعارة لمكان التناسب بينه وبين معنى الاستعارة"[5]، وهذا التحديد ينطبق على قسمي الاستعارة: التصريحية والمكنية، وأشار السكاكي إلى اختلاف علماء البلاغة حول اعتبار الاستعارة مجازاً لغوياً أو مجازاً عقلياً، وقد أورد تبريرات كل طرف ووجه اعتباره لها . فمن يقول بأنها مجاز لغوي " الحاتمي " وجمهور البلاغيينظراً إلى استعمال الأسد [في قولنا رأيت أسداً يتكلم] في غير ماهو له عند التحقيق، فإنا وإن ادعينا للشجاع الأسدية فلا نتجاوز حديث الشجاعة حتى ندعي للرجل صورة الأسد ، وهيئته وعبالة عنقه ، أي أن اللفظ المستعار لايدل على كامل معناه الموضوع له ، وإنما على جزء يتضمنه وهو معنى الشجاعة ، وخروج اللفظ عن دلالته الحقيقية التي وضع لها إلى دلالة أخرى بقصد المشابهة يسمى مجازاً لغوياً، آراء بعض العلماء في المسألة، يقول العصام في الأطول مؤيداً ماذهب إليه السكاكي: «زعم القوم أن استعارة المشتقات باعتبار استعارة المصدر، وفي الحرف قالوا: الاستعارة أولاً في تعلق الحرف وهذا مشكل جداً!، إذ لا يخفى على مستعير لمشتق أو حرف أنه لا يتكلم أولاً بالمصدر أو متعلق الحرف، ولا يستعير شيئاً منهما.

ومما يلاحظ أن السكاكي قد جعل الاستعارة التبعية من جنس التصريحية ، حيث أجراها في لفظ المشبه به دون المشبه . وقد أكد ذلك الطيبي صراحة إذ قال : " والتبعية هي أن يكون المستعار أفعالاً أو صفات أو حروفاً ، ولا تكون هذه إلا مصرحاً بها "، وقد أيّد السعد الخطيب فقال بل التحقيق أن الاستعارة في الأفعال وجميع المشتقات التى يكون القصد بها إلى المعاني القائمة بالذوات تبعية لأن المصدر الدال على المعنى القائم بالذات هو المقصود الأهم الجدير بأن يعتبر فيه التشبيه و إلا لذكرت الألفاظ الدالة على نفس الذوات دونما يقوم بها من الصفات"(6)، ثم خطّأ السكاكي في "قال صاحب المفتاح المراد بمتعلقات معاني الحروف ما يعبر بها عنها عند تفسير معانيها مثل قولنا من معناها ابتداء الغاية وفى معناها الظرفية وكي معناها الغرض فهذه ليست معاني الحروف وإلا لما كانت حروفا بل أسماء لأن الإسمية

---

[1] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط2، 115/2.

[2] ديوانه، جمع: د. حسن محمد باجودة، مكتبة دار الفرات، ط1، 1970م، ص87.

[3] الصنوبري، ديوانه، ص153.

[4] انظر: مختصر المعاني، مصدر سابق، ص 198.

[5] مفتاح العلوم، أبي يعقوب السكاكي، ظبطه وكتب هوامشه وعلق عليه، نعيم زرزور، ط2، 1987م، ص369.

[6] مختصر المعاني لشرح تلخيص المفتاح، سعد الدين التفتزاني، دار الفكر، ط1، 1411هـ ، ص232.

لا والحرفية إنما هي باعتبار المعنى وإنما هي متعلقات لمعانيها أي إذا أفادت هذه الحروف معاني ترجع تلك المعاني إلى هذه بنوع استلزام. فقولا لمصنف في تمثيل متعلق معنى الحروف (كالمجرور فيقولنا زيد في نعمة) ليس بصحيح"(1).

4- استدراك الخطيب على السكاكي في تعريف المكنية وجواز انفصالها عن التخييلية، - الجزء الأول من الخلاف:يكمن الجزء الثاني من الخلاف في تعريف كلٍ من السكاكي والخطيب للاستعارة المكنية، فالسكاكي يعرف الاستعارة المكنية"بأن تذكر المشبه وتريد به المشبه به، دالاً على ذلك بنصب قرينة تنصبها وهي أن تنسب إليه وتضيف شيئاً من لوازم المشبه به المساوية؛ مثل أن تشبه المنية بالسبع ثم تفردها بالذكر مضيفاً إليها، على سبيل الاستعارة التخييلية، من لوازم المشبه به مالايكون إلا له، ليكون قرينة دالة على المراد، فتقول: مخالب المنية نشبت بفلان طاوياً لذكر المشبه به، وهو قولك: الشبيهة بالسبع"(2)، أي أن المذكور من طرفي الاستعارة هو المشبه (المنية)، وأن المراد منه هو السبع بادعاء السبعية لها، بمعنى أنها . المنية . لم تستعمل في موضعها الحقيقي في اللغة، لأن المقصود بها .كما يرى . المشبه به (السبع) بدليل نسبة شيء من لوازم المشبه به إليه، وهذا مايرى الخطيب خلافه من أن المنية باقية على أصلها في اللغة وليس المقصود بها أنها السبع، يقول الخطيب عن هذا: وفيه نظر، للقطع بأن المراد بالمنية في البيت هو الموت لا الحيوان المفترس فهو مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق، وكذا كل ما هو نحوه ولا شيء من الاستعارات مستعملاً كذلك.

- الجزء الثاني من الخلاف:الاستعارة المكنية عند الخطيب هي أن " يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه، ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أجري عليه اسم ذلك الأمر، في سمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنياً عنها، وإثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخييلية"(3)، فالخطيب والجمهور على أن التخييلية قرينة المكنية ولا تنفصل عنها، فبينهما تلازم، فالمكنية والتخييلية متلازمان عند جمهور البلاغيين، بمعنى أن المكنية لا تفارق التخييلية، والتخييلية لا تفارق المكنية ضرورة أنها قرينتها، ولا استعارة بدون قرينة، ولا تكون قرينتها إلا تخييلية ، كقوله تعالى: (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)(4)حيث شبه الإنسان بالطائر، وحذف المشبه به، وأثبت لازم المشبه به للمشبه وهو (الجناح)، على سبيل الاستعارة المكنية، وفي إثبات الجناح للإنسان استعارة تخييلية، كقول الهذلي من( البحر الكامل) :

وَإِذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا ألْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ(5)

فشبه الموت بالسبع في اغتيال النفوس، وحذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه وهو (الأظفار)، على سبيل الاستعارة المكنية، وفي إثبات الأظفار المنية استعارة تخييلية، وقول زهير من ( البحر الطويل):

صَحا القَلْبُ عَنْ سَلْمَى وأَقْصَرَ بَاطِلُه وعُرَى أَفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُه(6)

يقول الخطيب: "فيحتمل أن يكون استعارة تخييلية ...أما التخييل فأن يكون أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه أو أن المحبة من الجهل والغي، وأعرض عن معاودته فتعطلت آلاته كأي أمر وطن في النفس على تركه فإنه تهم لآلاته فتتعطل، فشبه الصبا بجهة من جهات المسير كالحج والتجارة قضى منها الوطر فأهمل آلاتها فتعطلت فأثبت له الأفراس والرواحل، فالصبا على هذا من الصبوة بمعنى الميل إلى الجهل والفتوة لا بمعنى الفتاء"(7).

وكما في قول لبيد من ( البحر الكامل):

وَغَدَاةَ رِيحٍ قَدْ كَشَفْتُ وَقِرَّةٍ إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشِّمَالِ زِمَامُهَا(8)

قال القزويني: " جعل للشمال يداً ومعلوم أنه ليس هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً ... ولكن لما شبه الشمال لتصريفها القرة على حكم طبيعتها في التصريف بالإنسان المصرف لما زمامه بيده؛ أثبت لها يداً على سبيل التخييل مبالغة في تشبيهها به، وحكم الزمان في استعارته للقرة حكم اليد في استعارتها للشمال فجعل للقرة زماماً ليكون أتم في إثباتها مصرفة كما جعل للشمال يداً ليكون أبلغ في تصييرها متصرفة فوفى المبالغة حقها من الطرفين، فالضمير في أصبحت وزمامها للقرة"(9)، ففي السابق تشبيهان مكنيان، مقترنان بتخييل

(1)المصدر السابق، ص233.
(2)مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص378.
(3)الإيضاح في علوم البلاغة، مصدر سابق، ص 290.
(4)سورة الإسراء ، الآية :23.
(5)المفضليات، الضبي، تحقيق: عبدالسلام هارون، وأحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط6، ص422.
(6)زهير بن أبي سلمى، ديوانه، اعتنى به: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ط2، 2005م،ص26.
(7)الإيضاح في علوم البلاغة، مصدر سابق، ص 291.
(8)لبيد بن ربيعة، ديوانه، اعتنى به: حمدوطماس، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ط1، 2004م، ص 114.
(9)الإيضاح في علوم البلاغة، مصدر سابق، ص 290.

ويقول عبد القاهر: "وذلك أنه جعل للشمال يداً، ومعلوم أنه ليس هناك مُشار إليه يمكن أن تُجْرَى اليد عليه ...ليس أكثر من أن تُخَيّل إلى نفسك أن الشَّمال في تصريف الغَداة على حكم طبيعتها، كالمدبّر المصرِّفِ لما زمامُه بيده، ومَقادتُهُ فيكفّه، وذلك كلُّه لا يتعدَّى التخيُّلُ والوَهْم والتقدير في النفس، من غير أن يكون هناك شيء يُحَسُّ، وذاتٌ تتحصَّل"[1]، وبتحليل عبدالقاهر لهذا البيت، وأنه مبني على الخيال والتوهم، ولم يذكر أنها استعارة مكنية؛ فكان هذا مدخلاً للسكاكي من أن يُجَوِّز انفصال الاستعارة المكنية عن التخييلية، ويحتج بقول الهُذلي من ( البحر الكامل):

وَإِذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا  أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لاتَنْفَعُ[2]

في أن الاستعارة المكنية قد تنفصل عن الاستعارة التخييلية كما في هذا البيت، فالسكاكي يجريها على أنها استعارة تخييلية فقط، فيقول: لو قلنا أظفار المنية الشبيهة بالسبع نشبت بفلان، فشبهنا أظفار المنية المتوهمة بالأظفار الحقيقية للسبع، فقد اخترع الوهم للموت أظفار تشبه أظفار السبع، فهنا تشبيه وليس استعارة، والمنية حال دعوى كونها داخلة في حقيقة السبع إذا أثبت لها مخلب أو ناب ظهرت مع ذلك ظهور نفس السبع معه في أنه كذلك ينبغي، وكذلك الصورة المتوهمة على شكل المخلب أو الناب مع المنية المدعى أنها سبع تبرز في تسميها باسم المخلب بروز الصورة المتحققة المسماة باسم المخلب من غير فرق نظرا على الدعوى.

كذلك استشهد السكاكي بقول الشاعر:

لاتَسْقِنِي مَاءَ المَلامِ فَإِنّنِي  صَبٌّ قَدْ اسْتَعْذَبْتُ مَاءَ بُكَائِي[3]

أن هذه الاستعارة تخييلية فقط، فالشاعر قد توهم للملام شيئاً مكروهاً (مشبه)، فأثبت له الماء المر البشع، والسكاكي يعيب البيت السابق ويستشهد به من أن حسن المكنية في اقترانها بالتخييلية، وبذلك نعود على جواز انفصال المكنية عن التخييلية، يقول السكاكي: "وأما حسن الاستعارة التخييلية فبحسب حسن الاستعارة بالكناية متى كانت تابعة لها ... ولذلك استهجنت في قول الطائي"[4]، إلا أن الخطيب يرد ذلك ويبطل حجة السكاكي بأن هذا تشبيه وليس استعارة، بتشبيه الملام بالماء المشروب.

آراء بعض العلماء في المسألة، الخطيب والجمهور على أن التخييلية قرينة المكنية ولا تنفصل عنها، فبينهما تلازم، والمكنية والتخييلية متلازمان عند جمهور البلاغيين، بمعنى أن المكنية لا تفارق التخييلية، والتخييلية لا تفارق المكنية ضرورة أنها قرينتها، ولا استعارة بدون قرينة، ولا تكون قرينتها إلا تخييلية والواقع أن الناظر يجد بعض العلماء والبلاغيين يخالفون ذلك ويقولون أننا لانحتاج ، في هذا المثال، إلي التعسف بالقول : إننا أمام استعارتين : إننا أمام استعارة واحدة وهي التي تجرى في " مخالبويصبح إجراء الصورة في قوله : " مخالب المنية نشبت بفلان " أنه شبه الصورة المتوهمة للمنية التي تولدت في مخلية المتكلم بعد أن رأى " اغتيالها النفوس ، وانتزاعها أرواحها بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار ، بصورة مخالب السبع ، ثم أفرد المشبه به بالذكر ، وأضافه إلى المنية " ليكون إضافتها إليها قرينة مانعة من إجرائها على ما يسبق إلى الفهم منها من تحقق مسمياتها ". وبذا تكون الاستعارة تصريحية تخييلية، ومما لاشك فيه أن رأي كثير من البلاغيين في تعريف الاستعارة يدعم هذا القول ، حيث يرون أن الاستعارة لابد فيها من حذف المشبه ، وعليه لاتكون هناك استعارة مكنية . فعبد القاهر الجرجاني يعرف الاستعارة بقوله : "إن الاستعارة وإن كانت تعتمد التشبيه والتمثيل ، وكان التشبيه يقتضي شيئين : مشبهاً ومشبهاً به ، وكذلك التمثيل لأنه كما عرفت تشبيه ، إلا أنه عقلي ، فإن الاستعارة من شأنها أن تسقط ذكر المشبه من البين وتطرحه ، وتدعي له الاسم الموضوع للمشبه به ، كما مضى من قولك رأيت أسداً تريد رجلاً شجاعاً "[5]أي أنها لاتجرى إلا في المشبه به، ومن ثم فهي تصريحية أبداً . لكنه فرّق بين نوعين من التصريحية هما : التحقيقية والتخييلية ، ومن الخطأ أن نظن أن عبد القاهر في تفريقه بينهما ، أنه كان يقصد بالتخيليةالاستعارة المكنية ، فهو يقول : "اعلم أن كل لفظة دخلتها الاستعارة المفيدة فإنها لاتخلو من أن تكون اسماً أو فعلاً ، فإذا كانت اسماً فإنه يقع مستعاراً علي قسمين : أحدهما أن تنقله عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم فتجريه عليه ، وتجعله متناولاً له تناول الصفة مثلاً للموصوف ؛ وذلك قولك : رأيت أسداً ، وأنت تعني رجلاً شجاعاً ... والثاني : أن يؤخذ الاسم عن حقيقته ويوضع

---

[1] أسرار البلاغة في علم البيان، مصدر سابق، ص 41.
[2] المفضليات، مصدر سابق، ص422.
[3] أبوتمام، ديوانه، ص 9.
[4] مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص 388.
[5] أسرار البلاغة في علم البيان، مصدر سابق، ص 176.

موضعاً لا يبين فيه شيء يشار إليه ، فيقال هذا هو المراد بالاسم والذي استعير له وجعل خليفة. لاسمه الأصلي ونائباً منابه"[1] ومثاله قول لبيد :

وغداةَ ريحٍ قد كشفتُوقِرَّة إذ أصبحتْ بيد الشِمال زمامُها[2]

**الخاتمة**

1ـ علم البلاغة من العلوم التي استقرت من خلال استقصاء العلماء وتتبعهم لأحوال اللسان العربي، وما يكون عند العرب وفي عرفهم فصيحاً بليغاً، يوافق طباعهم السليمة، ويؤدي إلى أرق المعاني وأجمعها وأجملها، ومن استدراكات الخطيب على السكاكي في علم المعاني التي حرص البحث على تأملها، ومحاولة الوقوف عندها ودراستها، وإبداء الرأي فيها، ومن حياة السكاكي ومنزلة مفتاحه وآراء العلماء في جهده.

2 ـ ثم انتقلت إلى حياة الخطيب ومنزلة كتابيه، وكان كل ذلك في إيجاز غير مخل، ومن تناول قضايا علمية عظيمة كقضية المجاز العقلي التي فتح بابها المجاز العقلي، ومن دراسات واستقصاءات الخطيب القزويني لآراء السكاكي حيث استدركه عليه وبيّن أن بنية المجاز العقلي تختلف عن بنية الاستعارة بالكناية، مثلا .

3 ـ أكّد الخطيب . أيضاً . في المجاز العقلي أن لكل فعل مبني للفاعل في المجاز العقلي فاعلٌ في التقدير، رداً على عبد القاهر الجرجاني، والرازي من بعده، ومن الكشف عن تشبيه التمثيل كما عرفه عبد القاهر الجرجاني، وقد خالفه عدد من العلماء الأجلاء منهم الزمخشري والرازي وابن الأثير في هذا، وساووا بين التشبيه والتمثيل؛ فلا يتضح فرق بيِّن يفصل الأولى عن الثانية، ومن بيان تشبيه التمثيل عند عبد القاهر باعتباره فرعين، أحدهما: أن يكون الوجه مفرداً، والآخر مركباً، وفي كليهما يشترط الجرجاني أن يكونا غير حقيقين أو ما يسميه بمتأولين واشترط ألا يكونا غريزيين، لكن العلماء استعملوا بعد عبد القاهر تشبيه التمثيل وأفردوا المركب منه بالاهتمام؛ لتشابه ماوجهه مفرد مع التشبيه وعدم اقتناعهم بالتفريق بينهما، منهم السكاكي الذي فهم التأول في الوجه أي أن يكون عقلياً اعتبارياً، فكل تشبيه وجهه مركب عقلي هو عنده تمثيل، ثم جاء بعده الخطيب العربي الذي وافق أستاذه في الاقتصار على المركب ورفض أن ينحصر هذا المركب في كونه عقلياً وأدخل الوجه الحسي ضمنه؛ لورود كثير من الشواهد الرائعة الرائقة التي يكون الوجه فيها مركباً حسياً، وهذا هو الرأي المختار عندنا لإنصافه.

4 ـ السكاكي رحمه الله، كان له الفضل في التهذيب والتمييز بين علوم البلاغة أو أقسامها، فأزال تداخلها في بعضها، وجعل لكل بحث منها علمًا خاصًّا، علم البيان والبديع، والذي تميز هو نفسه عن بقية العلماء بكونه ناقدًا أكثر من كونه أديبًا.

5 ـ يجب بيان فضل السكاكي مؤسس علم البلاغة بالجمع والضبط والتصنيف، وكتابه الذي نال الشهرة وألهم العلماء الخبرةوالبحث والمثابرة.

6 ـ لابد من مواصلة البحث في هذا المجال واستنتاج الفوائد المعاصرة في مجال دراسة علوم البلاغة. والله أعلم

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم برواية قالون عن نافع

1- ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تحقيق : أحمد الحوفي ، بدوي طبانة دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ، ط2، 1995م.

2- ابن منظور : لسان العرب ، قدم له : عبدالله العلايلي ، دار الجيل ، بيروت- لبنان ،دط، 1987م.

3- أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ط1، 2008م.

4- أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط2000،1م.

5-أحمد مطلوب الرفاعي ، أساليب بلاغية ، وكالة المطبوعات الكويت ، ط1، 1980م.

6- أحمد المراغي، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط1، 1985م.

[1] المصدر السابق، ص40.

[2] لبيد بن ربيعة، ديوانه ، مصدر سابق، ص 114.

7- جلال السيوطي ،بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحات ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية ،صيدا – لبنان ، دط، دت.
8- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق : الشيخ بهيج غزاوي ،دار إحياء علوم الدين ، بيروت – لبنان ، 1998م
9- زهير بن أبي سلمة : ديوانه ،أعتنى به :حمدوطماس ، دار المعرفة بيروت – لبنان ، ط2 ، 2005م.
10- سعد الدين التفتزاني : مختصر المعاني لشرح تلخيص المفتاح ،دار الفكر بيروت – لبنان ، ط1، 1411هـ.
11-الضبي : المفضليات ،تحقيق: عبدالسلام هارون ، أحمد محمد شاكر، دار المعارف ،القاهرة ،ط6 ، دت
12- شوقي ضيف ،البلاغة تطور وتاريخ ،دار المعارف ، القاهرة ، ط 9 ، 1995م.
13- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز ، تحقيق: محمود شاكر أبو فهر ،مكتبة الخانجي، مطبعة المدني ،القاهرة ، ط1 ، 1992م.
14- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2001م.
15- عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ،مكتبة الآداب ،ط17، 2005م.
16- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ،دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ط7، 2006م.
17- قيس ابن الأسلت ، ديوانه ،جمع: حسن محمد باجودة ، مكتبة الفرات ، ط1، 1970م.
18- نبيل بن ربيعة ، ديوانه، أعتنى به :حمدوطماس، دار المعرفة، بيروت – لبنان ، ط1، 2004م.
19- مازن المبارك ، الموجز في تاريخ البلاغة ،دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، ط6، 2006م.
20- ياقوت الحموي : معجم الأدباء ،تحقيق: إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت- لبنان ، ط1 ،1993م.